الفصل الأول

الأسرة والتنشئة الاجتماعية

- الأســـــــــرة
- العلاقـات الأسريـــة
- دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية
- أساليب المعاملة الوالدية

الإنسانية كلها أسرة كبيرة. قال الله ﷻ: ﴿ **يا أيها الناسُ اتقوا ربّكُم الذى خَلَقَكُم من نَفْس واحدَة وخَلَقَ منها زوْجَها وبَثّ منْهُما رجالًا كثيرًا ونساء...** ﴾. وتكوين الأسرة واستقرارها وسعادتها هو الوضع الذى ارتضاه الله ﷻ لحماية البشر. قال الله ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ أرْسَلْنا رُسُلًا من قَبلكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أزْواجًا وَذُرّية...** ﴾. وقال ﷻ: ﴿ **واللهُ جَعَلَ لَكُمْ من أنفُسكُمْ أزْواجًا وَجَعَلَ لَكُمْ من أزْواجكُمْ بَنينَ وَحَفَدَة...** ﴾. وقال رسول الله ﷺ: " تناكحوا تكاثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة " رواه الترمذى.

الأســـرة

الأسرة هى النواة الأولى للمجتمع، وأقوى الجماعات تأثيرًا فى تكوين شخصية الفرد وتوجيه سلوكه، وتعد من أهم عوامل التنشئة الاجتماعية للفـــرد (حامد زهران، ١٩٩٨م).

ويعرف جعفر ياسين (١٩٨١م) الأسرة بأنها: " جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأطفال، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسئولية، وتقوم بتربية الأطفال، حتى تمكنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم، ليصبحوا أشخاصًا يتصرفون بطريقة اجتماعية ".

كما تعرفها علياء شكرى (١٩٧٩م) بأنها " علاقة مستمرة ودائمة بين الزوجين، بغض النظر عن وجود أولاد بينهما، وقد تتضمن الأسرة أفرادًا آخرين غير الزوجين والأولاد ينتمون إليهم بصلة قرابة، وفى هذه الحالة تكون الوحدة المكونة هى البيت (Household) وليس الأسرة ".

وتعد الأسرة أكثر أنواع المنظمات الاجتماعية التى يختص بها الجنس البشرى، وهى الوسط الذى يتعلم فيه الإنسان أدواره الاجتماعية وتؤثر الأصول البيولوجية فيها تأثيرًا كبيرًا، وتعد الأسرة المنظمة الأساسية التى انبثق عنها المنظمات الأخرى. فقد كانت العبادة والحكم والتجارة والصناعة والتعليم تتم قديمًا داخل الأسرة وتدريجيًّا انفصلت هذه المؤسسات (دور العبادة – ومؤسسات الحكم – والمتاجر – والمصانع – والمدارس) عن الأسرة.

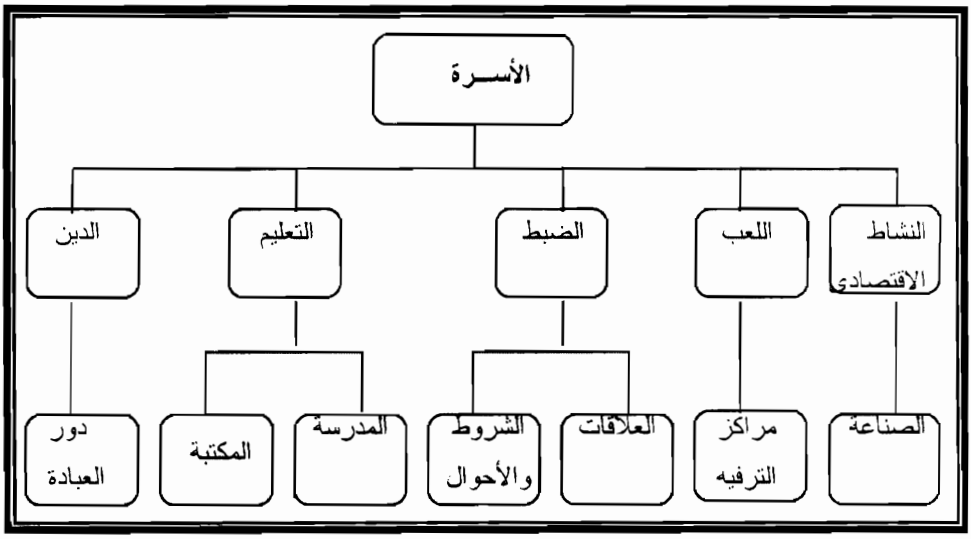

شكل (١) تطور المؤسسات الاجتماعية من الأسرة

بنيـة الأسرة:

هناك **نوعان من الأسر تختلف بنيتها**، وهما الأسرة النووية، والأسرة الممتدة، وفيما يلى شرح موجز لهما:

أولًا: الأسرة النووية ـ Nuclear Family:

وهى مكونة من الرجل والمرأة (الزوجين) وأطفالهما والذين يعيشون فى بيت واحد.

ويعد هذا النمط نواة المجتمع الحالى، أو أصغر وحدة اجتماعية متعارف عليها. ويشير فاروق أمين (١٩٨٣م) إلى أن الأسرة النووية هى، أساسًا، سمة تميز المجتمعات الصناعية، حيث يستقل الأفراد اقتصاديًا عن أسرهم، ويكون لهم دخل خاص بهم، مما يدفعهم إلى تكوين أسر خاصة بهم بعد الزواج، كما أنه يمكن تناول بنية الأسرة النووية من عدة نقاط أهمها:

- تعاون الزوجين مع بعضهما البعض سواء فى دفع المصروفات المادية، أو فى تربية الأطفال، أو القيام بالأعباء المنزلية؛ خاصة عندما تكون الزوجات متعلمات أو عاملات.
- انتشار الروح الديموقراطية فى الأسرة ومصارحة الزوجين بعضهما البعض، واشتراكهما معًا فى تناول ما يتعرضون له من مشكلات، أو قضايا تهم الأسرة ككل؛ خاصة عندما تكون الزوجة عاملة وتشارك زوجها فى ميزانية الأسرة، حيث تتحول فى نظر الزوج من زوجة مستهلكة فقط، إلى زوجة مشاركة له فى المسئوليات.
- إن علاقات القربى بين الزوجين وبين أسرتيهما الأصليتين تقل وتتعرض للتفكك، خاصة أن بعد المنزل يلعب دورًا فى ذلك، وبالمقابل فإن العلاقات مع الجيران وأصدقاء العمل تزداد قوة.
- يزداد اعتماد الأسرة على الأجهزة الحديثة المساعدة فى أعمال المنزل – خاصة إذا كانت الزوجة عاملة، حيث أنها تضطر أيضًا إلى أخذ أطفالها إلى الحضانة أو تركهم عند جدتهم، أو الاستعانة بمربية (قد يكون لها أثر سىء فى تنشئة الطفل).
- تميل الأسر النووية إلى التقليل من عدد الأطفال، وذلك لأن وقت الزوجين المحدود (خاصة إذا كانت الزوجة عاملة)، ودرجة تعليمهما، تدفعهما إلى التقليل من الأطفال، والاهتمام بنوعية الأولاد وليس عددهم.

ثانيًا: الأسرة الممتدة- Extended Family:

وهى تركيبة اجتماعية مكونة من عائلتين أو أكثر يقيمون جميعًا فى منزل واحد، وغالبًا ما يكونون على صلة قرابة ببعضهم، وغالبًا ما يجمع بينهم عمل معين كما فى المجتمعات الزراعية، وتبقى الأسرة فى هذا النمط على الاتصال بين الأجيال، وتسمى أسرة النواة المتصلة.

والأسرة الممتدة من وجهة نظر الإسلام تمتد حتى تشمل المجتمع الإسلامى كله، يقول ﷻ ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالًا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾.(النساء: ١٨)

خصائص الأسرة:

للأسرة خصائص يمكن إجمالها فيما يلى:

١- الأسرة **أول خلية** يتكون منها البنيان الاجتماعى، وهى أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشارًا فلا يوجد مجتمع يخلو من النظام الأسرى، والأسرة أساس الاستقرار فى الحياة الاجتماعية، إذًا لا يمكننا أن نتصور حالة الإنسانية إذا لم تكن منظمة فى أسر.

٢- تتكون الأسرة من أشخاص **تربطهم روابط الزواج أو الدم أو التبنى.** والرابطة بين الزوجين هى رابطة الزواج، والعلاقة بين الوالدين وأطفالهما قائمة على رباط الدم، وقد تقوم فى بعض الأحيان على التبنى.

٣- ينتظم أعضاء الأسرة عادة فى **مكان واحد للمعيشة،** ويكونون بيتًا واحدًا، وقد يتخذ البيت أشكالًا مختلفة، تبعًا لظروف وعادات كل مجتمع من المجتمعات.

٤- تقوم الأسرة على **أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع،** فهى ليست عملًا فرديًا أو إراديًا، ولكنها من عمل المجتمع، وثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية التلقائية، وهى فى نشأتها وتطورها وتنظيماتها قائمة على مصطلحات اجتماعية، فمثلًا

الزواج بأشكاله المختلفة ومحور القرابة والعلاقات الزواجية أمور يوجدها المجتمع ويضع معاييره ويفرض على الأفراد مسايرتها والالتزام بحدودها؛ ومن يخرج على ذلك يقابله المجتمع بالقوة ويفرض عليه عقوبات رادعة.

٥- تعتبر الأسرة هى **الإطار العام الذى يحدد تصرفات أفرادها**، فهى التى تشكل حياتهم وتضفى عليهم خصائصها وطبيعتها، وهى أول المؤسسات التى تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية لأفرادها.

٦- تحافظ الأسرة – بفضل التنشئة والتربية الصالحة – على نقاوة هذا العنصر، وهى **القنطرة التى عن طريقها يعبر الطفل إلى الحياة الاجتماعية**، أى أنها عربة الوعى الاجتماعى والتراث القومى والحضارى التى تنقل هذا التراث من جيل إلى جيل، وهى فوق ذلك مصدر العادات والتقاليد وقواعد السلوك والآداب العامة، وهى دعامة الدين والوصية على طقوسه وتعاليمه.

٧- تعتبر **وحدة التفاعل** بين الأشخاص ويقوم أعضاؤها بكثير من الأدوار (دور الزوج، والزوجة، والأب، والأم، والابن، والأخت) كل هذه الأدوار محددة من قبل المجتمع.

٨- الأسرة - بوصفها نظام اجتماعى - **تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية وتتأثر بها**، فإذا كان النظام الأسرى فى مجتمع ما منحل وفاسد فإن هذا الفساد يتردد صداه فى وضعه السياسى وإنتاجه الاقتصادى ومعاييره الخُلُقية. وبالمثل إذا كان النظام الاقتصادى والسياسى فاسدًا فإن الفساد يؤثر فى مستوى المعيشة للأسرة وتماسكها.

٩- الأسرة هى الوسط الذى اصطلح عليها المجتمع **لتحقيق دوافع الإنسان الفطرية الطبيعية والاجتماعية**، وذلك مثل حب الحياة وبقاء النوع وتحقيق الدوافع الغريزية والجنسية والاتصالات والعواطف الاجتماعية مثل عاطفة الأبوة والأمومة والأخوة، والمشاركات الوجدانية مثل التعاطف والتراحم والتواد والتواصل

الاجتماعى، وما إلى ذلك، وهذه كلها عبارة عن قوالب ومصطلحات يحددها المجتمع والأفراد ويستهدف من ورائها تحقيق الغايات البعيدة من الاجتماع الإنسانى.

١٠- **تلقى الأسرة مسئوليات مستمرة على أعضائها** أكثر من أى جماعة أخرى، فإذا كانت مسئوليات الحياة الاجتماعية مرهونة بالمواقف الداعية إليها أو موقوفة بحدود معينة، فإننا نجد المسئوليات الأسرية تمتد طوال العمر، بل أكثر ما يواجه الأسرة من مشكلات تكمن فى تخلى بعض أفرادها عن مسئوليتهم.

١١- تعتبر **الأسرة وحدة اقتصادية**، وتبدو هذه الطبيعة واضحة إذا رجعنا إلى تاريخ الأسرة حيث كانت تقوم بإنتاج ما تحتاج إليه، كما كانت تقوم بمختلف أوجه النشاط الاقتصادى كتوزيع ما ينتجه أفرادها أو عند الضرورة تتبادل هذه المنتجات مع غيرها من الأسر. (محمد سمير حسانين، ١٩٩٤م)

أهداف الأسرة:

تنشأ النظم الأسرية لأسباب عديدة، ومن بين الأسباب البارزة لقيام الأسرة: الحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الحب. والأسرة توفر وسيلة مقبولة اجتماعيًا لإنجاب الأطفال. والوالدين لديهما أسباب أخرى لإنجاب الأطفال، فالبعض ينظر للطفل كامتداد للذات، والبعض الأخر قد يكون لديهم أسباب دينية، وآخرون يشعرون أن الطفل يزودهم بالشعور بالأمان، وهناك طائفة ينظرون لأطفالهم كوسيلة لتحقيق درجة من الخلود وبقاء اسم العائلة مستمرًا. وللأسف قد يكون إنجاب بعض الأطفال غير مقصود وبالتالى يكون الأطفال غير مرغوبين. وهناك ستة أهداف أساسية لنظم الأسرة التقليدية وهى:

١. استمرار وبقاء الجنس البشرى من خلال إنجاب وتربية الأطفال.

٢. مجتمعية الأطفال.

٣. تقديم مصدر للعلاقات البينشخصية المتعمقة.

٤. تقديم جماعة مرجعية أساسية للانتماء وتحقيق الهوية الذاتية.

٥. خلق واستمرار وحدة اقتصادية ووحدة عملية.

٦. تقديم الرعاية للوالدين فى مرحلة الشيخوخة.

(حسن عبد المعطى، ٢٠٠٤م)

ولقد لاحظ (فاندر زاندن ـ Zanden) (١٩٨٠م) اختلافًا فى أهداف الأسرة نتيجة للاختلاف فى المجتمع، وقدم خمسة أهداف أساسية تقوم بها الأسرة وهى:

١. **الإنجاب**: فمن خلال تقديم نسق اجتماعى للإنجاب يتم تلبية الاحتياجات الإضافية للأسرة والمجتمع. فالحاجة الاجتماعية للتكاثر والإنجاب التى كانت موجودة سابقًا لم تعد ذات أهمية فى المجتمع المعاصر، حيث أصبحت عملية حمل الطفل وتربيته بمثابة عملية تستهلك الوقت والقوى، ومن هنا فإن الكثير من الآباء يختاروا أن يكون لهم عدد محدود من الأطفال، والبعض قد يختار عدم الإنجاب.

٢. **التنشئة الاجتماعية**: وبالرغم من أن التنشئة الاجتماعية للطفل قد تغيرت فى القرن الحالى، إلا أنها مازالت هدفًا أساسيًا للأسرة، فيكتسب الطفل من خلالها الأنماط السلوكية والقيم والعادات الاجتماعية السائدة.

٣. **الاستمرارية**: ويقصد بها استمرار الأسرة فى أداء دورها بالحماية والإعالة وتنشئة الأطفال منذ الميلاد وفى مرحلة الطفولة والمراهقة والرشد.

٤. **الإقامة**:إن هدف الأسرة من تقديم مركز ومكانة لأفرادها يرتبط بالإقامة المجتمعية وتنمية مفهوم الذات. فالأسرة تقدم الجماعة الاجتماعية التى يتحقق من خلالها الهوية الذاتية بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية.

٥. **إشباع الحاجات الذاتية**: وهى من أهم أهداف الأسرة فى الوقت الحاضر؛ ففى بعض الأسر تبدو جميع الأهداف الأخرى ثانوية بالنسبة لهذا الهدف.

فالعلاقات الأسرية التى لا تشبع الاحتياجات الشخصية لجميع أفرادها، من الممكن أن تؤدى إلى الإحباط واليأس والاضطرابات الانفعالية.

وظائف الأسرة:

تقوم الأسرة بكثير من الوظائف المهمة، وهذه الوظائف وإن كانت تصنف إلى مجموعة وظائف مستقلة، فإن ذلك يعد تصنيفًا غير واقعى ولكنه تصنيف بغرض الدراسة، فالوظائف تتفاعل بعضها مع البعض الآخر، ويؤثر بعضها فى البعض الآخر، ولا توجد منفصلة ومنفردة، وهذه الوظائف هى:

١ – الوظيفة البيولوجية:

الأسرة هى النظام الاجتماعى الذى ارتضاه كل مجتمع من أجل مد هذا المجتمع بأعضاء جدد. ولما كان كل حى مصيره إلى الفناء، ظهر لنا أهمية هذه الوظيفة وهى بقاء النوع وحفظ المجتمع من الانقراض.

وهذه الوظيفة البيولوجية ظلت مع الأسرة فى كل المجتمعات؛ فالمجتمع لا يقبل أبناء شرعيين إلا من أفراد متزوجين، وسواء أنجب الأزواج أم لم ينجبوا، فإن هذا لا يحول دون وجود هذه الوظيفة البيولوجية.

وهكذا فإن إشباع الحاجات (الحيوية) البيولوجية من أهم الوظائف التى تقوم بها الأسرة مثل الطعام والشراب وغيرها؛ فالدافع الجنسى قوى وملح ولابد من تحقيقه وإشباعه وإلا قامت صراعات فردية واجتماعية وانحرافات ومشكلات نفسية واجتماعية تنغص حياة الفرد والمجتمع، ولا يسمح المجتمع الشرقى والإسلامى بإشباع هذا الدافع إلا عن طريق الزواج وتكوين الأسرة، ويقول رسولنا الكريم ﷺ: " يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج " رواه البخارى. وهنا يوضح الحديث أن الزواج وتكوين الأسرة فيه درء للمفاسد والفتن.

٢ – الوظيفة الدينية:

للدين طقوسه وأحكامه الخاصة التى تختلف من دين لآخر. وإذا كانت المجتمعات الحديثة قد عرفت المؤسسات الدينية مثل المعابد والكنائس والمساجد، وإذا كانت المدرسة الحديثة فى المجتمعات الحديثة تعلم التلاميذ الدين من خلال التربية الدينية، فإن هذا لا يمنع من قيام الأسرة بوضع الأسس الأولى للوازع الدينى عند الصغار وتطبعهم بطابع دينى خاص سوى أو متزمت أو غير مكترث. ويكون للأسرة فعالية هائلة فى تطور وتشكيل المثاليات والسمات الخُلُقية والقيم داخل أعضائها، وتوفر الأسرة عن طريق تعاونها مع المسجد وغيره من المؤسسات الدينية فرصًا جديدة فى التربية الدينية.

وتعتبر الوظيفة الدينية من الوظائف الهامة التى تقوم بها الأسرة قديمًا وحديثًا. فالأسرة هى المناخ الأول الملائم لإشباع حاجات الأطفال إلى القيم الدينية وإلى التعاليم الدينية. فالأولاد مثلًا يتعلمون الصلاة وأداء الفرائض عن طريق الأسرة الممثلة فى الوالدين، وقد يبدأ الصغير فى إقامة فرائض الصلاة عن طريق تقليده للوالدين فى المنزل، ثم يتدرج فيما بعد وأثناء مراحل نموه إلى أن يكتسب عن اقتناع عادة هامة وهى الصلاة وغيرها من الشعائر الدينية المختلفة، الصوم، والزكاة. فالرسول ﷺ يحث المربين فى الأسرة على تعليم صغارهم تعاليم الدين منذ سن مبكرة، ليشبوا وقد اعتادوا عليها بقوله: " مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع ". فالصغير يتعلم – فى إطار التنشئة الاجتماعية السليمة – من والديه والمحيطين به حب الفضائل ونبذ الرذائل.

٣ – الوظيفة الاجتماعية:

من المعروف أن الطفل فى بداية حياته لا يكون أمامه مصدر من مصادر المعرفة والخبرة سوى أعضاء أسرته التى نشأ بين أفرادها، ويتعلم الطفل من الأسرة ما عليه من واجبات وما له من حقوق، وكيف يعامل غيره وكيف يستجيب لمعاملة الغير.

وجميع هذه الأنماط السلوكية والقيم يتعلمها الطفل فى مراحل تكوينه الأولى وتحدد إلى حد كبير أساليبه السلوكية فى المستقبل.

والأسرة هى المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل، وهى العامل الأول فى صبغ سلوك الفرد بصبغة اجتماعية، فهى تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وتشرف على النمو الاجتماعى للطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، وتتشابه الأسر أو تختلف فيما بينها من حيث الأساليب السلوكية السائدة أو المقبولة فى ضوء مجموعة المعايير الاجتماعية والقيم المرتضاة حسب طبقتها الاجتماعية وبيئتها الجغرافية والثقافية... إلخ.

ويوضح شكل (٢) دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية:

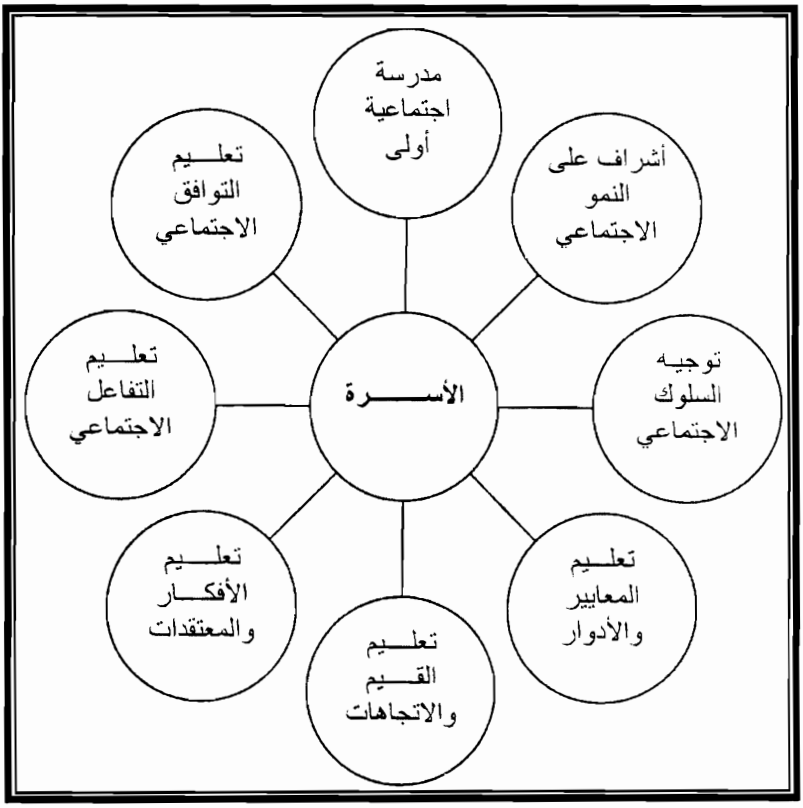

شكل (٢) دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية

وتقوم الأسرة بالإشراف على النمو الاجتماعى للطفل وتوجيه السلوك الاجتماعى له، كما تقوم بتعليمه المعايير والأدوار التى يقوم بها طوال حياته، وتمده بالقيم والاتجاهات والأفكار والمعتقدات، كما يقع على عاتق الأسرة تعليم أبنائها مهارات السلوك الاجتماعى، والتفاعل الاجتماعى، والتوافق الاجتماعى.

(أحمد سلامة وعبد السلام عبدالغفار، ١٩٧٤م ـ محمد سمير حسانين، ١٩٩٤م ـ حامد زهران، ٢٠٠٠م)

٤ – الوظيفة النفسية:

للأسرة أثرها الكبير والعميق على النمو النفسى للطفل، فهى تحدد إلى درجة كبيرة إن كان الطفل سينمو نموًا نفسيًّا سليمًا أو إن كان سينمو نموًا نفسيًّا غير سليم. والأسرة هى المسئولة إلى حد كبير عن سمات الشخصية التى يدخل فيها عنصر التعلم مثل الانبساط والانطواء وغير ذلك من السمات المكتسبة كالتعصب والعدوان.. إلخ.

والأسرة المستقرة التى تشبع حاجات الطفل فى اتزان، والتى تتميز بالتجاوب العاطفى بين أفرادها، تعتبر عاملًا هامًا فى توافق الطفل وسعادته؛ أما الأسرة المضطربة فهى ولا شك مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية.

وتعد الخبرات الأسرية التى يتعرض لها الطفل فى سنوات عمره الأولى من أهم المؤثرات الأساسية التى تؤثر فى نموه النفسى، ويتضح **تأثير الأسرة فى نمو الطفل** فى الجوانب الآتية:

أ – نمو الطفل الجسمى وتزويد الطفل بما يحتاجه فى نموه.

ب – الأمن النفسى للطفل وشعوره بالطمأنينة.

ج – النمو العقلى للطفل.

د – الاتزان الانفعالى للطفل.

هـ- النمو الاجتماعى للطفل.

و - النمو الخُلُقى والدينى للطفل.

٥ - الوظيفة الترويحية:

لاشك أن أفضل أنواع الوسائل الترويحية هى تلك التى تتيح للفتى أو الفتاة مشاركة اجتماعية مع الأقران؛ فبهذه الطريقة يكتشف الأطفال أنفسهم ويكتشفون ميولًا وهوايات جديدة، ويمارسون كذلك أساليب التفاعل المميزة للعلاقات الانسانية الناجحة. على أن هذا النشاط الترويحى ينبغى ألا يبتعد بالطفل عن دائرة الأسرة كلية.

وتقوم الأسرة بالوظيفة الترويحية وتمضية أوقات الفراغ؛ فعلى الرغم من انتشار وسائل الترفيه التجارية وسهولة القيام برحلات للمدن المختلفة وتوفر وسائل المواصلات والاتصالات الحديثة، إلا أن المنزل ما زال يمثل المركز الرئيس للترفيه عن أفراد الأسرة حيث يتوافر به أجهزة الراديو والمسجل والتليفزيون والفيديو والأتارى والكومبيوتر... إلخ. وتقوم الأسرة بدور هام فى مجال الاستشارة الترفيهية حيث تكون مسئولة عن التقييم والتوجيه والإرشاد والإشراف على الأنشطة الترفيهية لأعضائها. وتعد الأسرة مسئولة مسئولية مباشرة عن حماية أعضائها من الأنشطة الترفيهية ذات الخطورة فى المجالات المادية والخُلُقية (دالاس برات وجاك نيهر، ١٩٦٥م ـ محمد سمير حسانين، ١٩٩٤م).

٦ - الوظيفة الثقافية:

تعتبر الوظيفة الثقافية من أهم وظائف الأسرة؛ حيث أن الثقافة هى التى تعبر عن أسلوب الحياة الذى يعبر عنه هذا الكل المعقد من العادات والقيم والتقاليد والعرف والدين واللغة وغيرها، والأسرة هى التى تكتسب هذه العناصر من المجتمع الذى تنتمى إليه وتعيش ظروفه، وبالتالى فهى تنقل هذه العناصر إلى الأولاد من خلال عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية.

والوظيفة الثقافية للأسرة تُكسب الأطفال الكثير من المعارف والتجارب كما تؤصل فيهم القيم الدينية والروحية والخُلُقية المتوارثة، والتى بدورها تؤدى إلى استمرارية الكيان الأسرى فى إطار من هذه العناصر الهامة والتى تلعب أيضًا دورًا أساسيًّا فى تشكيل وتكوين الشخصية الإنسانية.

ويلاحظ أن الوالدين ذوى المستوى الثقافى المرتفع، يؤثرون تأثيرًا طيبًا على الأولاد حيث يكتسب الأولاد من الوالدين المعايير والقيم والعادات السلوكية السليمة التى تساعدهم على النجاح فى الحياة، والأسرة وهى تقوم بهذه الوظيفة الثقافية، إنما تحافظ من خلال أولادها على مستوى جيد من الثقافة والوعى الثقافى فى كل مجالات الحياة.

٧ – الوظيفة السياسية:

التفاعل بين الأسرة والسياسة لا يكون ظاهرًا ومباشرًا كما فى حالة العلاقة المتبادلة بين الأسرة والاقتصاد، وما يحدث بالفعل أن القادة السياسيين يعملون على إيجاد ظروف أفضل للمجتمع، تلك الظروف التى تعود بفوائد مباشرة أو غير مباشرة على الأسرة. والأسرة – بوجه عام – تشارك فى النشاط السياسى، وتساير القرارات التى يفرضها النظام السياسى السائد فى المجتمع.

والهيئات الرسمية للضبط الاجتماعى (مثل هيئة الشرطة) ليس لديها فى نهاية الأمر لتقويم المنحرفين سوى استخدام القوة، وهنا تبدو أهمية الصلة المتبادلة بين الأسرة والنظام السياسى؛ فالأسرة أثناء التنشئة الاجتماعية لأطفالها تخلق لديهم الدافع نحو المسايرة والامتثال والانضباط، ولهذا يزداد الإلحاح على الدور الذى يجب أن تقوم به الأسرة فى هذا الصدد؛ فقوتها وسيطرتها على الفرد تفوق جميع هذه القوى، ولهذا تقع مسئولية التوافق والامتثال للوضع السياسى القائم فى المجتمع المحلى على عاتق الأسرة، ويرى بعض الباحثين أن النظام السياسى يستطيع الاستمرار إذا كان أعضاء الأسرة يؤمنون بشرعيته ويدينون له بالولاء (محمد سمير حسانين، ١٩٩٤م).

الأسرة فى الإسلام:

الأسرة المسلمة تظل بخير ما إن تمسكت بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ. وتقف الأسرة المسلمة اليوم فى مهب الريح والعواصف، حين تخرج عن أحكام الدين وتقلد النظم الغربية فى البناء الاجتماعى الذى أدى فى الغرب إلى تفكك الأسرة، وضياع الأولاد، وحيرة الشباب، وفقدان الانتماء.

والأسرة هى الدعامة القوية للوطن وهى الخلية الأولى فى جسم الأمة، وإصلاح الأسرة إصلاح للوطن جميعه، شبابه وشيوخه، رجاله ونسائه، آبائه وأبنائه.

ولقد عنى الإسلام بالأسرة عناية كبيرة وحددت التشريعات الإسلامية كل الحقوق والواجبات لكل فرد فى الأسرة، ووضحت المسئوليات الملقاة على كل فرد فى الأسرة، ونظمت الحقوق والالتزامات التى لا غنى لهذا البناء الأساسى والنسيج البشرى عنها، مما يكفل سلامة الدعائم وقوة البنيان، والحياة الطيبة للفرد والأسرة والمجتمع، ليكون كل فرد من أفراد الأسرة عضوًا سليمًا صالحًا، يؤدى وظيفته فى الحياة أداء كاملًا، والتشريعات الإسلامية للأسرة من زواج وطلاق ونفقة وهبة تعالج أمورًا لحماية العاطفة والشعور الوجدانى العميق، وتقوم أكثر ما تقوم على الاختيار السليم البعيد عن الإكراه والجبر، والعماد فى ذلك كله على الإيمان والخُلُق الكريم والعقيدة الراسخة، وتقوية الوازع الدينى فى نفوس أفراد الأسرة، ومحاربة النزعات الفاسدة، وعلى الدعوة إلى اتباع تعاليم الإسلام، وإرشادهم إلى سواء السبيل (محمد خفاجى، ٢٠٠١م).

ويعتبر الإسلام الأسرة الركيزة الأساسية للمجتمع، ومن ثم فإن المجتمع ينهض ويزدهر بقدر ما تزدهر فيه الأسرة وتستقر.

وقد وضع الإسلام تقديرًا كبيرًا وعناية خاصة للأسرة، حيث حرص على أن يؤكد على المودّة والرحمة فى الزواج الذى هو أساس قيام الأسرة، وفى ذلك يقول المولى ﷻ: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.

والزواج مشروع بقول الله ﷻ: ﴿... **فانكحوا ما طابَ لَكُم من النساء...** ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ **وَأَنكحوا الأَيامى منكُم والصالحينَ منْ عبادكُمْ وَإمائكُمْ...** ﴾. كما حثنا الرسول الكريم ﷺ على الزواج بقوله: " يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفـــرج ". وقال ﷺ: " تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ". ومن حِكَم الزواج:

أ – الإبقاء على النوع الإنسانى بالتناسل.

ب- حاجة كل من الزوجين إلى صاحبه لإشباع حاجاته الفطرية.

ج – تعاون كل من الزوجين على تربية النسل والمحافظة على حياته.

د – تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر فى دائرة المودّة والمحبة لإقامة أسرة مستقرة.

(أبو بكر الجزائرى، ١٩٩١م)

وقد نظم الإسلام أحكام الزواج وحمى الحياة الزوجية بأن حث على أن يتم الزواج بناء على اختيار كل منهما للآخر، ويكون أساس الاختيار خاضع لحكم العقل لا لحكم العاطفة. قال رسول الله ﷺ: " الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ".

كما حدد رسولنا الكريم ﷺ الأسس السليمة لاختيار الزوج بقوله: " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ". وقال رجل للحسن بن على: إن لى بنتًا، فمن ترى أن أزوجها له؟ قال زوجها من يتقى الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

هذا وقد عمل الإسلام على **تدعيم الحياة الأسرية واستمراريتها وقيامها على أسس سليمة** بأن أوصى بما يلى:

١- **اختيار كل من الزوجين**، ويكون أساس الاختيار الدين والأخلاق فهما

اللذان تبقى بهما الحياة الزوجية، قال رسول الله ﷺ: " تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك " رواه بخارى. ويقول ﷺ " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ". ويقول الله ﷻ ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾.

٢- **أن يكون الزوج كفئًا لزوجته** أى مساويًا لها فى المنزلة ونظيرًا لها فى المركز الاجتماعى والمستوى الخُلُقى والدينى والمالى، ويذهب البعض إلى أن الكفاءة معتبرة بالاستقامة والخُلُق، فلا اعتبار لنسب ولا لصناعة ولا لشىء آخر. يقول الله ﷻ: ﴿**يا أيها الناسُ إنّا خَلَقْناكُم من ذَكَر وأُنثى، وَجَعَلْناكُمْ شُعوبًا وقبائلَ لتعارَفوا إن أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكُمْ**... ﴾.

٣- **أن يقوم كل أفراد الأسرة بمسئولياتهم**، وخاصة الرجل والمرأة، وقد قال رسول الله ﷺ: " كلكم راعٍ وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راعٍ على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة، والخادم راعٍ على مال سيده وهو مسئول، ألا كلكم راع وكلكم مسئول " رواه البخارى.

٤- **الحرص على بقاء المودة بين الزوجين** حيث يجب تحكيم حكمين عند نشوب الخلافات. قال الله ﷻ: ﴿**وإن خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهما فابْعَثوا حَكَمًا من أهْلِه وَحَكَمًا من أهْلِها إن يُريدا إصْلاحًا يوفّقِ اللهُ بَيْنَهُما**... ﴾. وعلى الرغم من أن الله ﷻ أحلَ الطلاق فى حالة استحالة استمرار العشرة بين الزوجين، إلا أنه يعتبر شيئًا بغيضًا وغير مستحب، ومن حديث رسول الله ﷺ: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق".

٥- على الرغم من أن **الإسلام قد أباح تعدد الزوجات، إلا أنه أورد تقييدًا لهذا التعدد**، فشرط التعدد بإقامة العدل والقدرة على الإنفاق، وهذا شرط صعب تحقيقه.

٦- **اعتبار المرأة شخصية كاملة ولها كيانها**، من حيث أنها تدير مالها بنفسها ولها ذمة مالية منفصلة وليس للزوج عليها سلطان فى ذلك إلا بتوكيل منها.

٧- **تأكيد حق المرأة فى الميراث من زوجها**، وحقها فى العمل. وهكذا أصبحت المرأة مساوية تقريبًا للرجل فى الحقوق والواجبات والمسئوليات، وقال ﷻ: ﴿ **يوصيكُمُ اللهُ فى أَوْلادِكُمْ لِلذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**... ﴾.

٨- **ثبوت البنوة** عن صلة الدم وعند عقد الزواج وإبطال التبنى لطفل معروف النسب لقوله ﷻ: ﴿ **ادْعوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ**... ﴾.

ومما سبق يتبين أن الإسلام يعتبر الأسرة اللبنة الأساسية للمجتمع ويشجع الأسرة على القيام بمسئوليتها فى توجيه أفراد المجتمع، يقول ﷻ: ﴿ **يا أَيها الذينَ آمَنوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نارًا وقُودُها الناسُ وَالحِجارَةُ**... ﴾.

العلاقـــات الأسريـــة

رغب ديننا الإسلامى الحنيف فى الزواج وتكوين الأسرة بصور متعددة للترغيب، فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين، وأنهم القادة الذيـــن يجب علينا الاقتداء بهم والسير على هداهم، يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا من قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجًا وذُرِّيَّة... ﴾. وتارة يذكـــر الله ﷻ الزواج وتكوين الأسـرة فى معرض الامتنان: فيقـــول ﷻ ﴿ واللهُ جَعَلَ لَكُم من أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا وَجَعَلَ لَكُم من أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ورَزَقَكُم من الطَّيِّباتِ... ﴾.

ونستطيع أن نقول إن نوع الزواج والأسرة ومدى ما يُتوقع من تماسك فى الأسرة وسعادة زوجية يتوقف إلى حد كبير على طبيعة العلاقات الأسرية السائدة فى الأسرة.

ويمكن أن نحلل العلاقات الموجودة داخل الأسرة والتى تؤثر على الطفل على النحو التالى:

١ - العلاقة بين الوالدين.

٢ - العلاقة بين الوالدين والطفل أو " الاتجاهات الوالدية نحو الطفل " أو " أساليب التربية الوالدية ".

٣ - العلاقة بين الإخوة والأخوات.

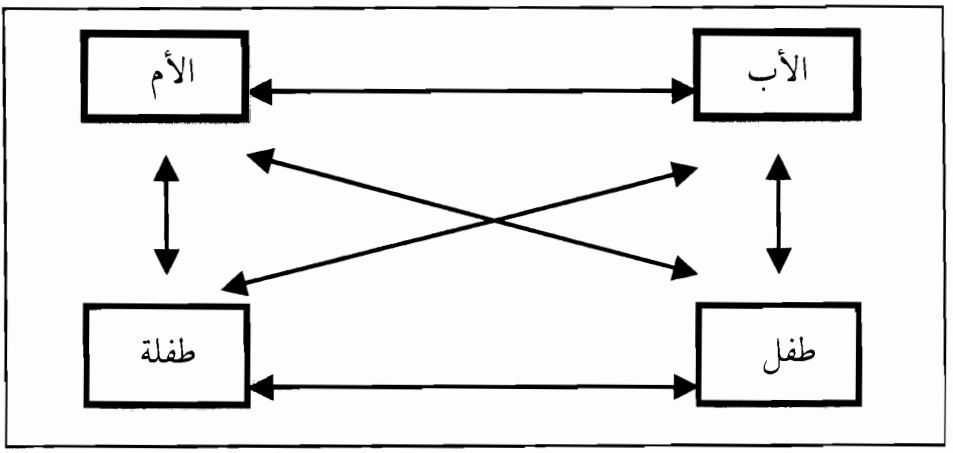

شكل (٣) العلاقات الأسرية

١ – العلاقة بين الوالدين:

تتوقف سعادة الأسرة وتوافقها الأسرى على طبيعة العلاقة القائمة بين الزوجين، فإذا وجدت الزوجة أن حياتها الزوجية مشبعة وأنها تحقق ما تتطلع إليه من أهداف وما تشعر به من حاجات، فإن ذلك يؤدى – بلا شك – إلى حرصها على تماسك الأسرة وإلى حرصها على مصدر إشباع حاجاتها وهى الأسرة، وكذلك الزوج الذى يجد فى زوجته مصدرًا لإشباع حاجاته، فإنه بدوره يعمل على تماسك الأسرة وإسعاد زوجته، وهناك **نمطان من الحاجات النفسية** يشيع وجودهما فى الأسرة، **الأول**: هو الحاجة إلى الحب والإعجاب والحماية، أما **الثانى**: فهو الحاجة إلى الاستقلال وتحقيق الذات؛ وعلى الرغم من أنه قد يكون هناك تعارض بين هذين النمطين من الحاجات، إلا أنه يحدث أن يصل الزوجان إلى مواءمة بينهما، وينعكس أثر العلاقة بين الوالدين على شخصية الطفل؛ فكلما كانت العلاقة بين الوالدين منسجمة أدى ذلك إلى جو يساعد على نمو الطفل إلى شخصية متكاملة متزنة، أما الخلافات والمشاحنات بين الوالدين فتعتبر من العوامل المؤدية إلى نمو الطفل نموًا نفسيًّا غير سوى.

ولقد توصلت بعض الدراسات النفسية إلى وجود ارتباط موجب بين التوتر الذى يشيع فى جو الأسرة نتيجة لخلاف الوالدين وبين أنماط من السلوك غير

السوى بين الأطفال مثل الغيرة والأنانية والخوف ونقص الاتزان الانفعالى، وجميع هذه السلوكيات تدل على نقص الشعور بالأمن النفسى لدى الطفل (أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار، ١٩٧٤م).

وعلى العكس من ذلك، فقد أكدت البحوث والدراسات أن العلاقات السوية بين الوالدين والتى يسودها الود والتعاطف والمشاركة والاتزان الانفعالى، تؤدى إلى إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسى.

والقوى التى توجه الوالدين أثناء تنشئة الطفل وتؤثر على نموه يأتى بعضها من الأب، ويأتى بعضها من الأم، وبعضها يبدو من داخل الطفل، بالإضافة إلى قوى تأتى من محيطات خارجة عن كل هؤلاء.

وقد اهتم (بيلسكى ـBelsky) بإعداد نموذج يأخذ فى اعتباره كل هذه القوى وغيرها على اعتبار أن تاريخ نمو الوالدين ينعكس على شخصية كل منهما بل يشكلها، ويؤثر على علاقتهما ببعض كزوجين، ومستوى تفاعلهما مع الآخرين ونوع معاملة الطفل وخصاله، وكل ذلك وغيره يؤثر على الطفل النامى (زكريا الشربينى ويسرية صادق، ١٩٩٦م).

ومن المفيد استعراض هذا النموذج مع بعض الإضافات، حيث تظهر جملة العوامل المؤثرة فى عملية التنشئة الوالدية للطفل، والتى أطلق **عليها " المحددات الوالدية Determinants of Parenting"**.

وإذا كان (بيلسكى) لم يغفل العلاقات بين الزوجين (والدى الطفل) عند عرض نموذجه، فإن وظيفة الوالد وعمله وشبكة علاقات كل من الأب والأم، والوضع الأسرى لكل منهما، متمثلًا فى مستوى اقتدار كل من أسرة الأب وأسرة الأم الذى ينطوى على الوضع الثقافى والاقتصادى لكل من الأسرتين لا يجب أن تختفى من نموذج المحددات الوالدية.

ويوضح شكل (٤) نموذجًا مقترحًا للمحددات الوالدية

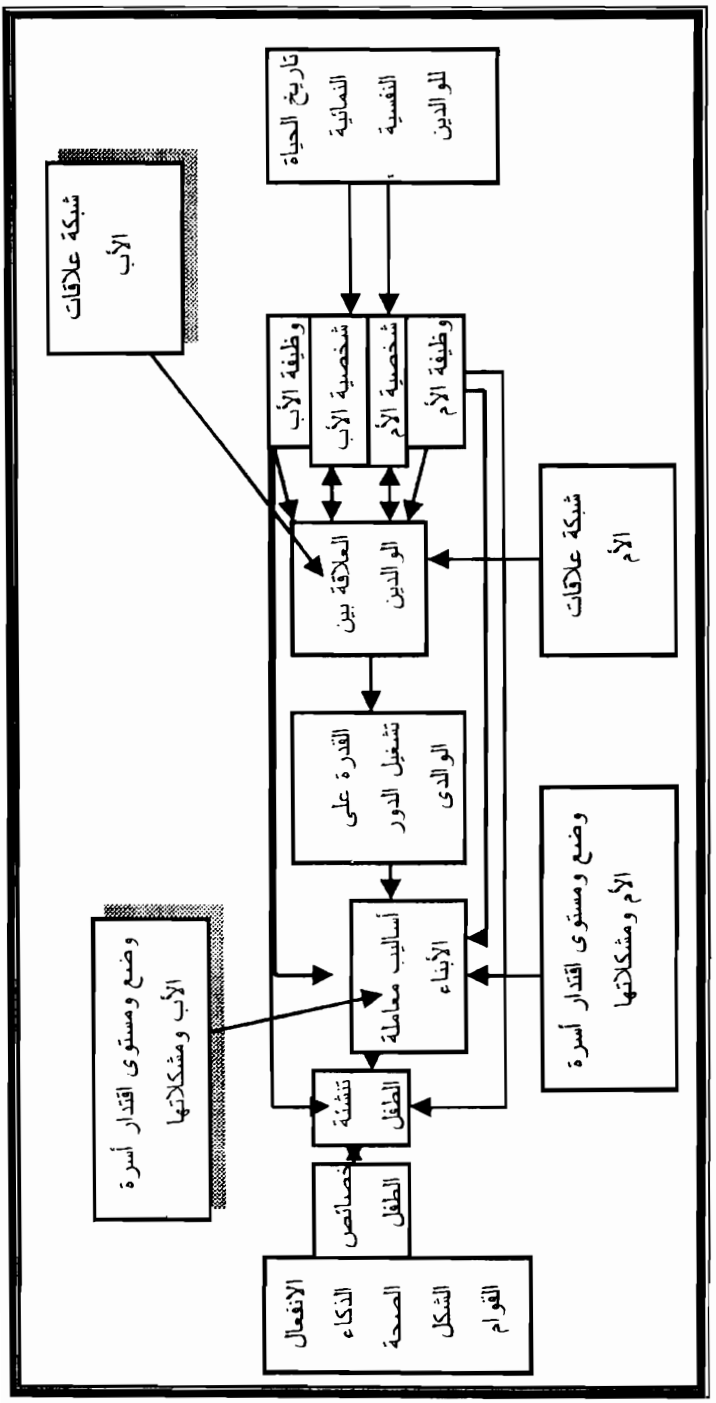

شكل (٤) نموذج مقترح للمحددات الوالدية

٢- العلاقة بين الوالدين والطفل

(الاتجاهات الوالدية نحو الطفل):

تعد العلاقة بين الوالدين والطفل من العوامل الهامة التى تدخل فى تشكيل شخصية الطفل، فالطفل الذى ينشأ فى ظل التدليل والعطف الزائد والرعاية الشديـدة، تختلف شخصيته عن طفل آخر نشأ فى جو الصرامة والنظام المتشدد الذى يتصف بالقسوة؛ فإذا ما نشأ الطفل فى جو مشبع بالحب والثقة تشكلت لديه شخصية تحب لأنها لاقت الحب من الآخرين وتعلمت كيف تحب، وتثق فى الآخرين لأنها عاشت فى جو من الثقة مع الوالدين؛ أما الطفل الذى ينشأ فى جو من الحرمان من الحب، وشعر برفض والديه له فإنه ينمو فردًا أنانيًّا عدوانيًّا لا يعرف الحب. كما نجد أن الطفل الوحيد المدلل غالبًا ما يسرف الوالدين فى تنشئته فينشأ أنانيًّا وغيورًا أو عدوانيًّا، وهناك أنماط مختلفة للمعاملة الوالدية، مثل الرفض والتدليل والتسلط وفرض نظام جامد والتذبذب والإهمال والتفرقة والإيلام... إلخ، ويأتى ذكر هذه الأنماط بالتفصيل فيما بعـد (أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار، ١٩٧٤م).

٣- العلاقة بين الأخوة:

كما تؤثر العلاقة بين الوالدين والاتجاهات الوالدية فى نمو شخصية الطفل، تؤثر - أيضًا - العلاقات بين الأخوة فى نمو هذه الشخصية. فكلما كانت العلاقات منسجمة وكلما خلت من التفرقة بين الأخوة، كلما كانت هناك فرصة للطفل لكى ينمو نموًا سليمًا.

وقد يؤثر مركز الطفل فى الأسرة على العلاقة بينه وبين إخوته، فالطفل الأصغر قد يشعر بالنقص نحو أخيه الأكبر، والطفل الوحيد قد يسوء توافقـــه بسبب التدليل والحماية الزائدة، والطفل الأكبر قد يصبح غيورًا عدوانيًّا إذا ما ولد طفل آخر فى الأسرة... وهكذا. إلا أن مركز الطفل داخـل الأسرة - فى حد ذاته - قد لا يكون عاملًا مؤثرًا بقدر ما يؤثر اختلاف معاملة الوالدين للطفل، فإذا ما شعر

الطفل بالتقبل والحب والعطف والحنان من والديه والمساواة وعدم التفرقة فى المعاملة بينه وبين إخوته وأخواته، فإن مركز الطفل فى الأسرة لا يؤثر فى شىء.

وهكذا نجد أن عملية التنشئة الاجتماعية التى تؤدى إلى النمو النفسى السوى والتوافق النفسى والصحة النفسية، تتطلب أن **تتسم العلاقات الأسرية** والمناخ الأسرى بما يلى:

- **إشباع الحاجات النفسية** وخاصة الحاجة إلى الأمن والحب والتقدير والانتماء.
- **تنمية الاستعدادات والقدرات** عن طريق اللعب والخبرات البناءة والممارسة الموجهة.
- **تعليم مهارات التفاعل الاجتماعى** واحترام حقوق الآخرين والتعاون والإيثار.
- **تعليم التوافق الشخصى والاجتماعى**.
- **تكوين الاتجاهات السليمة** نحو الوالدين والأخوة والآخرين.
- **تكوين العادات السليمة** الخاصة بالتغذية والكلام والنوم.
- **تكوين الأفكار السليمة**.

وخير ما نقتدى به هو رسولنا الكريم ﷺ الذى يحثنا على العدل والمساواة بين أبنائنا دائمًا، حتى أنه يأمرنا بالعدل بين أولادنا، وأن نسوّى بينهم حتى فى القُبَل.

وعلى الوالدين ملاحظة سلوك الأبناء وتصرفاتهم مع بعضهم البعض والإصلاح فى ذلك قدر المستطاع، فليغرس فى الصغير احترام الكبير، وليغرس فى الكبير العطف على الصغير وذلك لحديث رسول الله ﷺ: قال ﷺ **"ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقد كبيرنا" رواه الترمذى**. وليعلموا جميعًا الأدب مع بعضهم البعض وترك السخرية والاستهزاء عملًا بقوله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**". (الحجرات: ١١)

دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية

لما كانت الأسرة بمفهومها التقليدى وما تقوم عليه من معايير وقيم هى أحد النظم الاجتماعية المرتبطة بالفرد وتكوينه، فقد لاقت اهتمامًا خاصًا من الباحثين باختلاف تخصصاتهم لما للأسرة من أهمية كبرى فى بناء وتكوين الفرد وتنشئته اجتماعيًا.

والأسرة – كما عرفنا - هى مجموعة من الأشخاص يرتبطون معًا بروابط الزواج أو الدم أو التبنى، ويعيشون تحت سقف واحد، ويتفاعلون معًا وفقًا لأدوار اجتماعية محددة، ويحافظون على نمط ثقافى عام (سنية الصباحى، ١٩٨٨م).

وعملية التنشئة الاجتماعية ـ The Socialization Process عملية يهتم بدراستها علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وتعرف عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعى، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكًا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكن من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعى معها، وتكسبه الطابع الاجتماعى وتيسر له الاندماج فى الحياة الاجتماعية (حامد زهران، ٢٠٠٠م).

والتنشئة الاجتماعية هى العملية التى ينمو من خلالها الفرد ليكون كائنًا اجتماعيًا، أو هى العملية التى يكتسب بها الفرد الحساسية للمنبهات الاجتماعية ويتعلم السير فى إطارها، ويسلك مثل الآخرين فى جماعته أو ثقافته (فرج طه وآخرون، ١٩٨٨م).

وتؤكد الدراسات النفسية على أهمية دور الأسرة فى عملية التنشئة للأطفال

وذلك من خلال الخبرات التى يتعرض لها الطفل خلال عملية التنشئة الاجتماعية • ويعد التفاعل الأسرى عاملًا رئيسيًّا فى عملية التنشئة الاجتماعية، ونمو الطفل نموًا سويًّا، حين يشعر الطفل أنه مرغوب فيه، ويشبع حاجاته النفسية عن طريق الوالدين والأخوة.

وتلعب التنشئة الأسرية – كعنصر مهم فى التنشئة الاجتماعية – دورًا هامًا كعملية تفاعل يتعدل عن طريقها سلوك الفرد كى يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التى ينتمى إليها، ويكاد يتفق علماء النفس على أهمية التفاعل داخل الأسرة وما يرتبط بهذا التفاعل من انتماء الأفراد للأسرة واتجاهاتهم نحوها ونحو المجتمع ككل؛ فالتفاعل الأسرى يؤدى بشكل مباشر إلى تحديد مدى ما يتصف به الآباء من استقرار نفسى، ومن توافق مظاهر سلوك يمكن أن يتعلمها الأولاد داخل الأسرة لتكون أساسًا لتفاعلهم الاجتماعى خارجها ومشكلات سلوكهم بصورة عامة (محمد المرشدى، ١٩٩٣م).

ومن البديهى والمعروف أن الطفل منذ بداية حياته لا يكون أمامه مصدرًا من مصادر الخبرة والمعرفة سوى أعضاء أسرته التى نشأ فيها ودرج بين أفرادها، وبالزواج والإنجاب تتحول الأسرة إلى أهم عوامل التنشئة الاجتماعية للطفل، والأسرة هى الممثلة الأولى للثقافة وأقوى الجماعات تأثيرًا فى سلوك الفرد، وللأسرة وظيفة اجتماعية بالغة الأهمية، فهى المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل، وهى العامل الأول فى صبغ سلوك الطفل بصبغة اجتماعية. والأسرة هى التى تقوم بدور رئيسى فى عملية التنشئة الاجتماعية وتشرف على النمو الاجتماعى للطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه.

وتتميز الأسرة بعدة خصائص توضح أهميتها فى عملية التنشئة الاجتماعية وهذه الخصائص هى:

- أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأولى التى ينشأ فيها الطفل والمسئولة عن نموه وتربيته وتنشئته الاجتماعية.

- أن الأسرة تعتبر النموذج الأمثل للجماعة الأولية التى يتفاعل الطفل مع أعضائها وجهًا لوجه ويتوحد مع أعضائها ويعتبر سلوكهم سلوكًا نموذجيًّا، ويقول المثل العامى: " ابن الوز عوام "، " وبنت الفارة حفارة "، " وعيب الولد من أهله "، " ومن شابه أباه فما ظلم ".

أما عن **الأساليب النفسية الاجتماعية** التى تتبعها الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية فهى كما يلى:

- **الاستجابة لسلوك الطفل** مما يؤدى إلى إحداث تغير فى هذا السلوك.
- **الثواب** (سواء المادى أو المعنوى) حيث تثيب الأسرة الطفل على السلوك الصحيح.
- **العقاب** (سواء المادى أو المعنوى) حيث تعاقب الأسرة الطفل على السلوك الخاطئ.
- **المشاركة فى المواقف والخبرات** المختلفة بقصد تعليم الطفل السلوك الاجتماعى.
- **التوجيه المباشر** الصريح لسلوك الطفل وتعليمه المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات والأدوار الاجتماعية. (حامد زهران، ٢٠٠٠م).

وحول **دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية** وأثر ذلك فى بعض **المظاهر السلوكية** للطفل أظهرت البحوث ما يلى:

- **تفاوت الطبقات الاجتماعية يرتبط به تفاوت عملية التنشئة الاجتماعية،** فالطبقة الاجتماعية الدنيا أكثر تسامحًا فى عملية التنشئة الاجتماعية، والمجتمع الواحد يوجد فيه فروق فى التنشئة الاجتماعية بين طبقة وطبقة، وبين أسرة وأسرة.

- **نظام التغذية الذى تتبعه الأم** مع الطفل فى مرحلة الرضاعة يؤثر فى حركة ونشاط الطفل، وعدم إتاحة الفرصة الكافية للامتصاص فى فترة الرضاعة قد

يؤدى إلى مص الأصابع، والفطام المفاجئ يحدث اضطرابًا أكبر للطفل من الفطام المتدرج، والفطام المتأخر يضر بشخصية الطفل، والتزمت فى مواعيد الرضاعة والقسوة فى الفطام يؤدى إلى كثرة الاعتماد على الغير فى الحضانة.

- **الأساليب الخاطئة فى التدريب على ضبط عملية الإخراج** فى الطفولة، وخاصة قسوة الوالدين فى التدريب على الإخراج، تؤدى إلى ميل الأطفال الذكور إلى العدوان.
- كلما كانت **عملية التنشئة الاجتماعية أكثر إحباطًا للطفل**، وكلما زاد نبذ الوالدين للطفل، وكلما كانت اتجاهاتهم غير متعاطفة، وكلما زاد الإحباط فى المنزل، **زاد الدافع إلى العدوان لدى الطفل**، وللتنشئة الاجتماعية أثر فى كف الميل إلى العدوان وضبطه عند الأفراد.

(أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار، ١٩٧٠م)

ولكل عضو فى الأسرة دور فى عملية التنشئة الاجتماعية سواء الأم أو الأب أو الأخوة.

دور الأم فى عملية التنشئة الاجتماعية:

لقد محت العديد من الدراسات النفسية أى ظلال شك قد تنتابنا حول أهمية سلوك الأم فى تشكيل سلوك وليدها، يقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ويقول المثل العامى: " اكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها ".

وعندما تشبع الحاجات الفسيولوجية للطفل، دون أن يلقى علاقة ود وتعاطف مع الشخصية التى تقوم بدور الأم، فإننا نلاحظ تأخرًا فى نمو الطفل، ويلاحظ أن حرمان الطفل لفترة طويلة من عناية الأم قد يكون له آثار خطيرة وعميقة على خصائصه النفسية وبالتالى على مستقبل حياته، وتشير العديد من الدراسات إلى الأضرار التى تلحق بالطفل من جراء إيداعه إحدى المؤسسات الاجتماعية.

وتلعب الأم دورًا هامًا فى رعاية وتحقيق الصحة النفسية للطفل أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وهناك **شروط وضمانات يجب توافرها فى علاقة الأم بطفلها** أهمها:

- **إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية**، وخاصة حاجته إلى التقبل والحب والحنان والانتماء وتحقيق الذات والاستقلال الذاتى، وتقبله لذاته عن طريق تقبل الأم له.
- **تنمية قدرات الطفل** المختلفة: الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية.
- **توجيه الطفل وإرشاده** باستمرار كى يتمثل ويقلد السلوك السوى المنشود، ويستطيع أن يفرق بينه وبين السلوك الخاطئ.
- **تنمية استبصار الطفل بذاته** وقدراته وإمكاناته واستعداداته وميوله واتجاهاته.
- **تشجيع الطفل على ممارسة الأنشطة** المناسبة لقدراته وإمكاناته المشبعة لميوله ورغباته وحاجاته.
- مساعدة الطفل على **اكتساب الخبرات** وتحقيق النجاح.
- **إكساب الطفل الضمير الاجتماعى** والشعور بالانتماء الاجتماعى والولاء لأسرته ومجتمعه.
- مساعدة الطفل على **تقبل واتباع تقاليد وعادات وقيم مجتمعه** وتمثلها والعمل على بقائها واستمرارها.
- مساعدة الطفل على **تكوين اتجاهات ومعتقدات وأفكار سليمة**.
- مساعدة الطفل على **الحفاظ على النظام والضوابط الاجتماعية** عن اقتناع وبإيجابية.
- مساعدة الطفل على **تعلم التفاعل الاجتماعى واكتساب مهاراته**، واحترام حقوق الآخرين والمشاركة الاجتماعية. (محمد حسين، ١٩٨٦م).

دور الأب فى عملية التنشئة الاجتماعية:

توجد تأثيرات غير متساوية بين كل من الأم والأب، فالمسئولية ابتداء تقع على الأم خاصة فى الشهور الأولى من عمر الطفل، إلا أن الأب لا يمكن تجاهلـه، ولقد أشارت دراسات إلى أن أهمية دور الأب من خلال الإجابة عن ثلاثة تساؤلات:

١- كيف يتأثر الطفل فى نموه فى منزل بدون أب، أو فى منزل يكون الأب فيه متغيبًا معظم الوقت؟

٢- كيف يؤثر الأب على سلوك دور جنس الطفل؟

٣- عندما يكون للطفل مشكلات سلوكية، فهل هناك احتمال أن يكون الأب قد ساهم فى خلقها؟

(محمد عماد الدين إسماعيل، ١٩٨٦م)

ولقد أجريت دراسة بالنرويج على أولاد بحارة السفن، حيث أن الكثير من هؤلاء البحارة يكونون فى أغلب الوقت بعيدون عن منازلهم لمدة قد تصل إلى تسعة أشهر فى العام، والبعض كان يظل متغيبًا قرابة عامين، وتم مقارنة أطفال هؤلاء البحارة، بأطفال آخرين كانت آبائهم أغلب الوقت متواجدة بالمنزل.

ولقد أظهرت النتائج أن البنات اللاتى كان آباؤهن متغيبين عن المنزل، كن أكثر اعتمادًا على الآخرين من البنات اللاتى كان آباؤهن فى حالة تواجد بالمنزل، كما أن الأولاد الذكور كانوا أكثر تأثرًا من البنات لعدم المصاحبة المنتظمة لآبائهم، فلم يكونوا متوافقين فى علاقاتهم الاجتماعية مثل الأولاد فى الأسر الأخرى ذوى الآباء الحاضرة، كما أن أنماط السلوك لم تكن ناجحة إلى حد كبير، كما يبدو أنهم كانوا أقل تأكدًا حول أدوارهم الجنسية، حيث أنهم كثيرًا ما كانوا يتصرفون بطريقة ذكرية مفتعلة مبالغ فيها، وفى أحيان أخرى كانوا يتشبهون بالبنات فى أنماط سلوكهم (عادل الأشول، ١٩٧٩م).

وجملة القول إن وجود الأب فى الأسرة، يوفر بطبيعة الحال النموذج الذكرى لأولاده.

دور الإخوة فى عملية التنشئة الاجتماعية:

أوضحت بعض الدراسات دور الإخوة فى عملية التنشئة الاجتماعية، وخاصة **الوضع الترتيبى** (مركز الطفل) لكل من الإخوة فى الإطار الأسرى، أى كونه الولد الأكبر أو الأصغر أو الوحيد، أو كونه ولدًا ربيبًا أو متبنى، فالولد الأكبر قد يُتوقع منه سلوكًا أكبر مما يقدر عليه كأن يراعى إخوته الأصغر وبالتالى يسهم فى تنشئة الإخوة الصغار وإكسابهم بعض العادات التى قد تكون صحيحة أو خاطئة، وقد يكتب القدر عليه أن يتحمل مبكرًا مسئولية الأسرة إذا مات أحد الوالدين أو كليهما أما الولد الأصغر (آخر العنقود) فإنه قد يكتسب بعض السلوكيات من إخوته الأكبر بطريقة أسهل وأسرع مما يكتسبه من والديه، وقد يرجع ذلك إلى تقارب السن بينه وبين إخوته أو قضائه أوقاتًا طويلة معهم... إلخ. ويلاحظ أن الطفل الوحيد يميل إلى أن يكون متمركزًا حول ذاته، عنيدًا، صعبًا، حساسًا، منعزلًا، مترددًا، أنانيًا، غيورًا، معتمدًا على الوالدين.

وفيما يلى **بعض الملاحظات العامة على دور الأسرة** فى عملية التنشئة الاجتماعية:

- الأسرة **تؤثر على النمو النفسى للطفل**، وتؤثر فى تكوين شخصيته، فهى تؤثر فى نموه الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى.
- الأسرة السعيدة تعتبر **بيئة طيبة للنمو** تؤدى إلى سعادة الطفل.
- الأسرة المضطربة تعتبر **بيئة سيئة للنمو** وتعد بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية.
- **الخبرات الأسرية** التى يتعرض لها الطفل فى السنوات الأولى من عمره تؤثر تأثيرًا هامًا فى نموه النفسى والاجتماعى.
- الأسرة لا تنفرد بعملية التنشئة الاجتماعية، **فهناك مؤسسات أخرى تشترك معها** مثل المدرسة ودور العبادة ووسائل الإعلام وجماعة الرفاق والثقافة، مما قد يجعل الطفل يختلف عن أسرته، فيقول المثل العامى: " يخلق من ظهر العالم

فاسـد "، ويؤكد هذا المثل على أنه قد تكون بيئة الأسرة صالحة، بينما المؤثرات الخارجية طالحة وتؤثر أكثر فى سلوك الفرد فيكتسب سلوكيات مغايرة لسلوكيات للأسرة التى نشأ بها.

وهكذا، فإن الوليد البشرى تشكل شخصيته عن طريق خبراته، والسنوات الأولى من حياته تكون ذات دلالة كبيرة فى هذا الشأن، فخلال هذه السنوات تحدث معظم خبراته داخل إطار الأسرة؛ وبالتالى فإن الأسرة يقع عليها العبء الأكبر فى عملية التنشئة الاجتماعية، فبداخلها يحصل على مكافآت وعقوبات، ويجد نماذج يحاكيها وأشخاص يمكن أن يتوحد معهم.

هذا ويلاحظ أن الاهتمام هنا تركز ـ حسب خطة الكتاب ـ على دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية، ويجدر الإشارة إلى أهمية وفعالية باقى المؤسسات الاجتماعية والقوى المؤثرة على الطفل ـ والمشاركـة للأسرة والتـى يتكامل تأثيرها فى عملية التنشئة الاجتماعية مع دور الأسرة، ويتناول فيليب (رايس ـ Rice) (١٩٩٨م) القوى المؤثرة على الطفل فى إطار **" نموذج بيئى "** يوضحه شكل (٥).

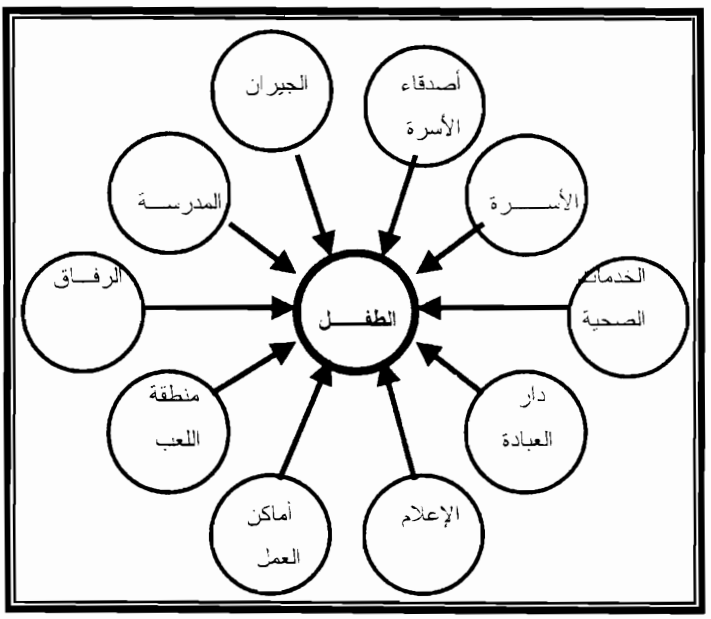

شكل (٥) القوى المؤثرة على الطفل "نموذج بيئى"

أساليب المعاملة الوالدية:

تؤثر التربية والتنشئة الاجتماعية السليمة وأساليب المعاملة الوالدية السوية تأثيرًا حسنًا على صحة الطفل النفسية، وفى الوقت نفسه فإن التربية والتنشئة الخاطئة للطفل فى الأسرة تأثيرًا سيئًا على صحته النفسية، وعلى نموه بصفة عامـة.

أبعاد تربية الطفل:

استهدفت البحوث التى قامت بدراسة العلاقات بين الوالدين والطفل الكشف عن الأبعاد النفسية لوسائل تربية الطفل وبتصنيف الآباء تبعًا لهذه الأبعاد ودراسة سلوك أطفالهم جعل من الممكن ربط وسائل تربية الطفل بسلوكه، وهناك طريقة أخرى تقوم بدراسة الوسائل التى يتبعها الوالدان فى تربية أطفالهما الذين يشتركون فى سمات مشتركة مثل الانحراف أو العدوانية أو الاضطراب الانفعالى، والغرض من هذه الدراسات هو تحديد أى أنماط تربية الأطفال يمكن أن تنبئ بمشكلات الطفولة، وقد حلل (شيفر ـ Scheffer) التفاعل بين الأمهات وأطفالهن، وحدد للسلوك الأمومى بعدان هما: الحب فى مقابل العـداء، والسيطرة فى مقابل الاستقلال الذاتى.(حسن عبد المعطى، ٢٠٠٤م).

ويقصد بأساليب المعاملة الوالدية أنها الطرق التى يتبعها الوالدان فى معاملة الطفل أثناء تفاعلهم معه فى المواقف الحياتية المختلفة وكما يدركها الطفل، وتتمثل هذه الأساليب فى التفرقة والتحكم والسيطرة والتذبذب... إلخ. هذا بالإضافة إلى الأساليب الصحية السوية (أمانى عبد الوهاب، ١٩٩٩م).

وتشمل أساليب المعاملة الوالدية غير المناسبة أو الخاطئة: الرفض (أو الإهمال ونقص الرعاية)، والحماية الزائدة (التدليل والتسلط)، والمغالاة فى المستويات الخلقية المطلوبة، وفرض النظم الجامدة (والنقد)، ومشكلات النظام والتضارب فى النظم المتبعة، والزواج غير السعيد وانفصال الوالدين أو الطلاق، واضطراب العلاقات بين الأخوة، والوالدين العصابيين، والمثالية وارتفاع مستوى الطموح.

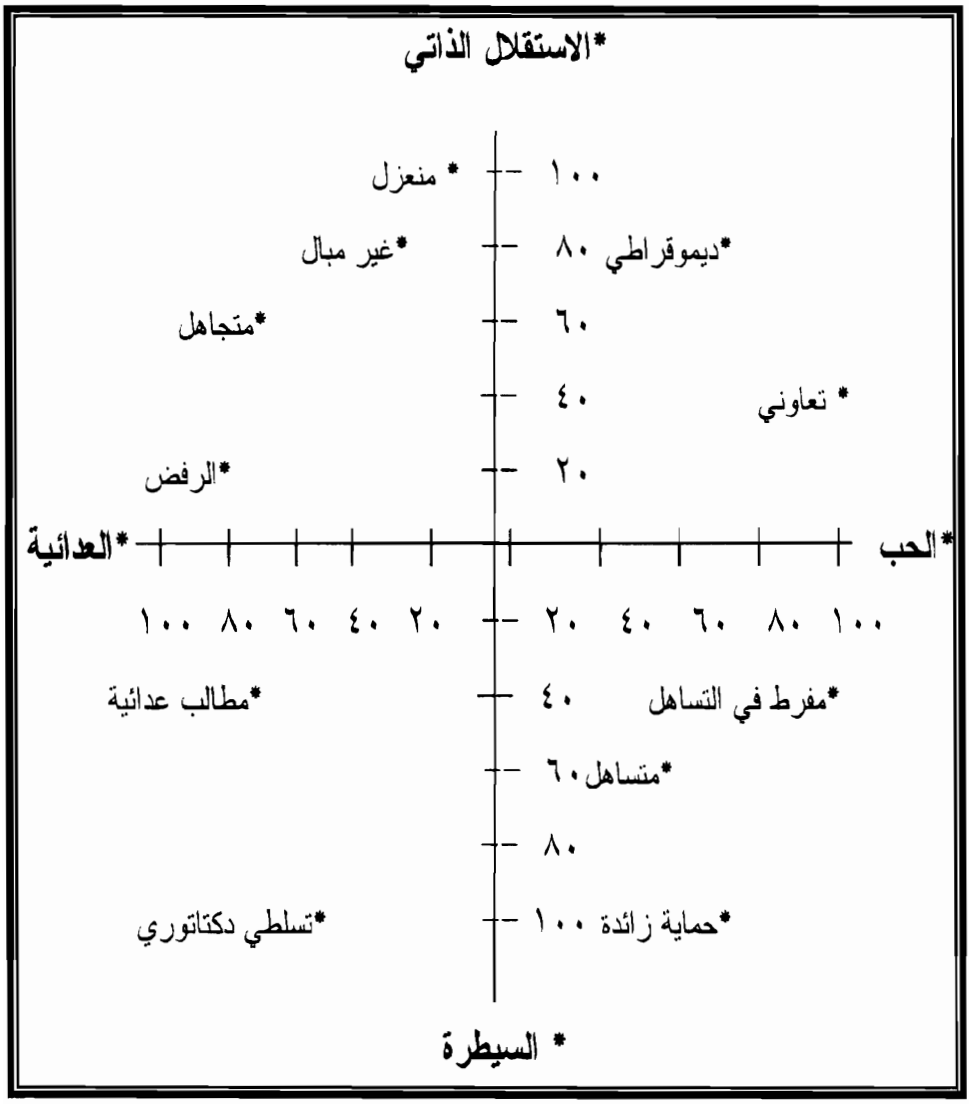

ويوضح شكل (٦) نموذج شيفر الافتراضى للسلوك الوالدى.

أولاً: أساليب المعاملة الوالدية الصحيحة:

أساليب المعاملة الوالدية الصحيحة هى الأساليب السوية والسليمة تربويًّا، وهى المعاملة التى يسودها الحب والتقبل والمودة والتفاهم، من قِبل الوالدين من ناحية، ومن قِبل الأولاد من ناحية أخرى، وهذه الأساليب تقلل من المثيرات التى

يمكن أن تثير مخاوف الطفل وتهدد أمنه حيث تشبع حاجات الطفل الحيوية والنفسية، فيدرك أن العالم المحيط به عالم ودود آمن، كما أن هذه الأساليب تساعد على تنمية قدرة الطفل على حل مشكلاته، وتساعده على تقبل ذاته وقدراته الخاصة واحترامها، والثقة فى ذاته وفى من حوله، كما تساعده على الاستقلال فى التفكير والسلوك، وتشجعه على المبادأة واكتساب المعلومات والخبرات، وترفع من مستوى الدافعية للإنجاز (محمد حسين، ١٩٨٦م ـ إيمان عبد الوهاب، ١٩٩٩م).

هذا وتجمع الدراسات والبحوث على أن أهم أساليب المعاملة الوالدية الصحيحة هى: التقبل، والاستقلال، والديموقراطية، واتساق المعاملة، والمساواة، والاعتزاز والتقدير.

١ – التقبل ـ Acceptance :

يقصد بالتقبل القبول والود ودفء المعاملة المتمثلة فى السعى إلى مشاركة الطفل، والتعبير الظاهر عن حبه وتقدير رأيه وإنجازاته والتجاوب معه والقرب منه من خلال حسن الحديث إليه والثناء عليه والفخر المعقول بتصرفاته ومداعبته، بالإضافة إلى رعايته واستخدام لغة الحوار والشرح لإقناعه، أو توضيح الأمور له. ويتضمن التقبل البعد عن الاستياء من الطفل والغضب من تصرفاته والضيق بأفعاله، وإشعاره بعدم الرغبة فيه، والميل إلى انتقاده وبخس قدرته، وعدم التمتع بصحبته وإظهار النفور والضيق من وجوده (زكريا الشربينى ويسرية صادق، ١٩٩٦م).

ويساعد أسلوب التقبل فى تنمية شخصية الطفل وشعوره بالأمن والثقة بالنفس والتواصل مع الآخرين والتعاون معهم.

٢ – الاستقلال ـ Independence :

يتضمن الاستقلال منح الطفل قدرًا من الحرية لينظم سلوكه، دون دفع سلوكه فى اتجاهات محددة أو كف ميوله من خلال قواعد ونظم يطلب منه الالتزام بها

ويشجع على ممارستها دون مراعاة لرغباته أو دون تزويده بمعلومات عن نتائج سلوكه.

ويؤدى أسلوب الاستقلال إلى نمو شخصية الطفل وتكوين آراء مستقلة خاصة به، ويكون قادرًا على اتخاذ القرارات والتمييز بين الصواب والخطأ، والجائز والممنوع، ويتمتع بالاتزان الانفعالى.

٣ – الديموقراطية - Democracy :

يتضمن أسلوب الديموقراطية مناقشة الوالدين للأولاد فى أمور حياتهم، وترك قدر كاف من حرية الاختيار، واتخاذ القرار، وتتضمن الديموقراطية فى الوقت نفسه البعد عن فرض النظام الصارم على الطفل أو كبح إرادته من قبل الوالدين معتمدين على سلطتهما وقوتهما ومقّيمين سلوك الطفل وفقًا لمعايير مطلقة محددة للسلوك ومنتظرين دائمًا الطاعة من قبله عند فرض رأيهما عليه وإجباره على التصرف بما يرضى رغباتهما (حامد زهران، ٢٠٠٠م).

وتؤدى الديموقراطية إلى إشاعة جو من الثقة المتبادلة والتجاوب التلقائى بين الوالدين والأولاد، وتكوين مفهوم ذات موجب لدى الطفل، وتحمله المسئولية وتعبيره عن رأيه بحرية، وثباته الانفعالى، واندماجه مع الآخرين.

٤ – اتساق المعاملة :

يقصد باتساق المعاملة ثبات الوالدين فى نظامهما الذى يتعاملان به مع الطفل فى المواقف نفسها عندما تتكرر، وعدم تناقض أسلوبيهما عند مقارنة أسلوب معاملة كل منهما بالآخر، أو داخل أسلوب الوالد الواحد تجاه السلوك نفسه الصادر من الطفل أو شبيه هذا السلوك، فيجب أن يثاب دائمًا كلما صدر منه السلوك الصحيح، ويعاقب – دون قسوة – كلما صدر منه السلوك الخاطئ.

ويؤدى اتساق المعاملة إلى قدرة الطفل على معرفة الإيجابيات والسلبيات، وإلى اكتسابه مهارات السلوك السوى، وقدرته على اتخاذ القرارات الصحيحة دون تردد، وشعوره بالتفاؤل والاتزان الوجدانى، وقدرته على قيادة الجماعة التى ينتمى إليها.

٥ – المساواة:

المساواة تعنى عدل الوالدين بين الأولاد فى الحب والتوجيه والإرشاد والعطاء والمساعدة ومنح السلطة والمزايا والهدايا والهبات... إلخ. وتعنى المساواة أيضًا المحافظة على مشاعر الإخوة عند التعامل معهم، وفيما بينهم أو أمام الآخرين.

ويؤدى أسلوب المساواة إلى انتشار الحب والتفاهم والإيثار بين الأولاد والثقة فيما بينهم والشعور بالأمن النفسى والطمأنينة

٦ – الاعتزاز والتقدير:

يتضمن الاعتزاز والتقدير ثناء الوالدين على الطفل وإظهاره بأنه محل إعجاب واعتزاز وفخر وحب وتقدير، مع البعد عن خداعه أو الاستخفاف بتصرفاته. ويجب استخدام هذا الأسلوب باعتدال ودون مبالغة لتجنب إصابة الطفل بالغرور وتقديره لإمكاناته الذاتية على نحو خاطئ.

ويؤدى أسلوب الاعتزاز والتقدير – إذا ما استخدم باعتدال – إلى رفع مستوى الثقة بالنفس، وإكساب الطفل مفهوم ذات موجب، وزيادة ولائه لأسرته وتحمله للمواقف الضاغطة والإحباط.

ثانيًا: أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة:

تجمع الدراسات والبحوث على أن أهم أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة هى: الرفض، والحماية الزائدة، والمغالاة فى المستويات الخُلُقية، والتفرقة، والتذبذب، والقسوة، والإهمال.

١ – الرفض ـ Rejection:

ويتمثل الرفض فى عدم تقبل الوالدين للطفل لأسباب مثل كون الطفل قد وُلد نتيجة لحمل غير مرغوب فيه فيعاملونه على أنه طفل زائد عن المطلوب جاء رغم إرادتهم فيعتبر " الولد الغلطة ". وقد يكون الرفض نتيجة خلافات بين الأب والأم

ويضطر الوالدان للاستمرار فى الزواج من أجل هذا الطفل فيشعر كل منهما أنه السبب فيما يعانيه من مشكلات، أو يرفضه كلا الطرفين باعتباره امتداد للطرف الآخر الذى يكرهه، وقد يرجع رفض أحد الوالدين للطفل لأنه قد يكون طفلًا لأحد الوالدين من زواج سابق فيشعر بالغيرة لأنه يعتقد أن هذا الطفل تذكار دائم للرفيق الغائب الذى سبق حبه والزواج منه، وقد يكون الطفل مرفوضًا من والديه بسبب جنسه كما يحدث أحيانًا فى خلف البنات، وتتمثل مظاهر الرفض الوالدى للطفل فى تجنب التعامل معه أو الشكوى المستمرة منه وتصيد الأخطاء له، ويقول المثـل العامى: " حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط ". وقد تتمثل مظاهر الرفض الوالدى للطفل كذلك فى تسفيه أفكاره وآرائه باستمرار والسخرية منه أمام الآخرين أو معاملته كغريب أو ضيف فى البيت.

ومن الآثار المترتبة على الرفض الوالدى عدم شعور الطفل بالأمن، والشعور بالوحدة، ومحاولة جذب انتباه الآخرين، والسلبية، والشعور العدائى، ونقص القدرة على تبادل العواطف، وفقدان الثقة بالنفس، مع وجود صعوبة فى بناء شخصية مستقلة، وكره السلطة الوالدية، والتمرد، وفى المستقبل يصبح الفرد متسلطًا ولديه شعور بالنقص.

٢ – الحماية الزائدة Over protection :

يقصد بالحماية الزائدة ميل الوالدين إلى القيام بكل ما يمكن أن يقوم به الطفل من سلوكيات، والخوف الشديد عليه، والمبالغة فى الرعاية، ليس فى أوقات المرض فقط، بل فى أوقات التغذية واللعب والنظافة وممارسة المهام التى يكلف بها (أمانى عبد الوهاب، ١٩٩٩م).

وحماية الوالدين لأولادهما أمر طبيعى وفطرى سواء على المستوى البشرى أو غير البشرى؛ فعلى المستوى غير البشرى نجد أن الحيوانات قد تعرض حياتها للخطر من أجل إنقاذ صغارها، وعلى المستوى البشرى نجد أن الوالدين السويين يبذلان قصارى جهدهما لحماية أبنائهم من أى شىء يهدد أمنهم؛ إلا أنه فى بعض

الأحيان قد تزداد هذه الحماية فتنقلب إلى الضد، فالشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

ويستدل على الحماية الزائدة بأربع وسائل هى:

١- الإفراط فى الالتصاق البدنى.

٢- إطالة فترة معاملة الطفل وكأنه لا يزال رضيعًا.

٣- الحيلولة دون نشأة السلوك المستقل.

٤- الإفراط فى التوجيه. (ريتشارد سوين، ١٩٧٩م)

ومن مظاهر الحماية الزائدة المبالغة فى الرعاية والقيام بالواجبات نيابة عن الطفل، واختيار أدوات الطفل ومستلزماته نيابة عنه، والدفاع بالنيابة عنه، ويمكن تفسير ذلك بخوف الأب والأم الشديد على أبنائهما من الوقوع فى الخطأ والتعرض للمخاطر أو خوفهما على الابنة الأنثى - كمجتمع شرقى - والحرص على حمايتها بالعديد من التحذيرات والتنبيهات وأحيانًا الرقابة الشديدة على تصرفاتها بدافع الخوف والحماية.

ويترتب على الحماية الزائدة بعض المشكلات النفسية مثل فقدان الشعور بالأمن النفسى، ونقص الثقة بالنفس، ونقص الشعور بالمسئولية، والأنانية ونقص القدرة على تحمل الضغوط والإحباط، ورفض السلطة، والإفراط فى الحاجة إلى انتباه الآخرين، وانخفاض مستوى الجرأة، وانخفاض مستوى الدافعية للإنجاز، والخجل، واللامبالاة.

ويندرج تحت الحماية الزائدة أسلوبان من أساليب التنشئة الوالدية الخاطئة وهما:

أ- **التـــــدليل.**

ب- **التســـــلط.**

أ – التدليل Fondling:

ويتمثل التدليل فى تحقيق الوالدين لكل رغبات الطفل دون توجيه أو ترشيد لهذه الرغبات، فيحققان له كل رغباته بغض النظر عن مدى احتياجه لها أو ملاءمتها لموارد الأسرة، كما يتمثل التدليل فى عدم تحمل الطفل المسئولية واعتماده الكامل على والديه، وتراخى الوالدين وتهاونهما فى معاملة الطفل، وعدم تدريبه وتوجيهه لتحمل المسئوليات والمهام التى تتناسب ومرحلته العمرية، مع إتاحة إشباع حاجاته فى الوقت الذى يريده هو، وفى أى وقت، حتى إن لم يكن الوقت المناسب، ويعد تشجيع السلوك غير المرغوب اجتماعيًا من أخطر مظاهر التدليل، فنحن نرى بعض الآباء يسعدون عندما يقوم أطفالهم بسب الآخرين أو ضربهم دون توجيه أى نقد أو توبيخ لهم على هذا السلوك غير المقبول وغير اللائق، وقد يدلل الوالدان الطفل لأنه الوحيد أو لأنه أصغر الأولاد أو لأنه الولد الوحيد بين أخواته البنات أو لأنها الأنثى الوحيدة بين إخوتها الذكور أو لأنه طفل يتيم (فقد أحد والديه) فيقوم الطرف الذى على قيد الحياة بتدليله شفقة عليه، وقد يكون تدليل الطفل لأنه طفل لوالدين كبيرين فى السن وأنجباه بعد فترة عقم طويلة... إلخ.

ويؤثر التدليل تأثيرًا سلبيًا على نمو شخصية الطفل، فيصبح معتمدًا على غيره لا يتحمل المسئوليات، يعانى الوحدة وسوء التوافق مع رفاق السن، وغير قادر على تحمل الضغوط أو حل المشكلات، ويلجأ إلى النكوص لمراحل طفلية سابقة إذا ما واجهته مشكلة ما، ويتخذ النكوص شكل اضطرابات فى العادات السلوكية مثل ثورات الغضب أو قضم الأظافر أو مص الإبهام... إلخ.

ب – التسلط Authoritarianism:

ويقصد به التحكم والسيطرة، وهو ميل الوالدين إلى فرض رقابة شديدة على الطفل سواء استدعى الأمر أو لم يستدع ذلك (أمانى عبد الوهاب، ١٩٩٩م ـ نجوى خليل، ٢٠٠١م).

ويؤدى التسلط إلى ظهور علاقة تبعية بين الوالدين والطفل، فبمرور الوقت يصبح الطفل تابعًا لوالديه لا يستطيع الاستقلال عنهما أو التصرف فى أى موقف بمفرده أو اتخاذ قراراته بنفسه، فيفرض عليه والداه أو أحدهما رأيه إما باللين عن طريق الترغيب وإغراءه بما يحبه أو عن طريق العنف والشدة وعدم مناقشته فى الأمر، وقد يتمثل التسلط فى معارضة رغبات الطفل وفرض رغبات الوالدين، أو فرض آرائهم عن طريق التهديد والخصام أو عن طريق الضرب والحرمان.

وقد يرجع تسلط الوالدين إلى طبيعة شخصياتهما أو إلى رغبتهما فى تربية أولادهما على النمط نفسه الذى تم تربيتهما به من قبل دون مراعاة الاختلاف بين الأجيال... إلخ.

ويؤدى التسلط عادة إلى بعض المشكلات النفسية والاجتماعية مثل الاستسلام، والعزلة ونقص الشعور بالكفاءة، ونقص المبادأة (الميل إلى الاعتماد الكلى السلبى على الآخرين)، وضعف الثقة بالنفس، ويتكون لدى الطفل مفهوم ذات سالب، ويمارس الأسلوب نفسه مع غيره عندما يكبر.

٣ – المغالاة فى المستويات الخُلقية:

يهتم بعض الآباء – فى بعض الأحيان – اهتمامًا مبالغًا فيه بالمستويات الخُلُقية المطلوبة من أبنائهم، فلا يسمحون لهم بمساحة من الخطأ على الرغم من أنه لا يوجد إنسان بلا أخطاء، يقول السيد المسيح ﷺ: " من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر"، ويقول الحديث الشريف: " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ". وقد يحاسب الآباء الأبناء على كل كبيرة وصغيرة، وقد يعاقبونهم بعقاب أكبر من حجم الخطأ الذى يرتكبونه، فلا يتناسب العقاب مع طبيعة السلوك الخاطئ الذى ارتكبه الطفل، وقد يكون الدافع وراء هذا الأسلوب فى التنشئة هو رغبة الآباء فى أن يكون سلوك أبنائهم فى أفضل صورة، أو قد يرجع ذلك إلى شخصية الوالدين الصارمة... إلخ. ويترتب على هذا الأسلوب فى التنشئة إصابة الطفل بأنواع قاسية من الصراع النفسى، والشعور بالإثم، والجمود، واتهام الذات، وامتهان الذات.

٤ – التفرقة ـ Discrimination :

بعض الآباء ينجذبون إلى أحد الأبناء دون الآخرين وذلك لوجود بعض الصفات المفضلة فى هذا الابن، وهذا خطأ كبير يضر بشخصية الطفل، وعندما يجد الآباء أنفسهم متحيزون إلى أحد الأبناء، يجب عليهم أن يصححوا هذا الخطأ وأن يتأكدوا من عدالتهم فى التعامل مع أبنائهم جميعًا وتقسيم الوقت والرعاية بينهم بالتساوى.

وقد يحدث اضطراب العلاقات بين الأخوة بسبب التفرقة فى معاملتهم، فتحدث تفرقة بين الأولاد لاختلاف الجنس، أو يفضل بعض الآباء الذكور عن الإناث فيهتمون ويحبون ويدللون الذكر أكثر من الأنثى، كما أنهم فى بعض الأحيان يعطون للابن الذكر الحق فى محاسبة أخواته الإناث حتى ولو لم تكن أكبر منهن سنًا، وفى بعض الأوساط الشعبية يلزم الآباء البنت بخدمة أخيها أو أسرتها، وأحيانًا يحدث العكس فيدلل الآباء البنت ويفضلونها على إخوتها الذكور ويميزونها بالحب والرعاية أكثر من إخوتها الذكور، ويفرق الآباء بين أبنائهم أحيانًا وفقًا لمركز الابن فى الأسرة فيميزون الكبير على الصغير أو العكس.

ويترتب على شعور الطفل بالتفرقة فى المعاملة العديد من المشاعر السلبية التى تؤدى إلى الشعور بنقص الأمن النفسى، فالطفل لا يجد فى ظل هذه المعاملة المشاعر الإيجابية الدافئة التى يفترض أن يشعر بها من قبل والديه، والتى تعتبر أساسية ومهمة فى تكوين شعوره بالأمن؛ كما أن هذا الأسلوب يؤدى إلى الغيرة بين الأولاد، وقد يتملكهم الشعور بالعداء تجاه الأخت أو الأخ المفضل لدى والديه.

(أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار، ١٩٧٤م ـ إيمان عبد الوهاب، ١٩٩٩م)

٥ – التذبذب ـ Oscillation :

يعرف التذبذب بأنه تأرجح واختلاف بين الوالدين تجاه بعض سلوكيات الطفل، أو اختلاف معاملتهما له فى المواقف المتشابهة، أو اختلاف معاملة أحدهما له

عن الآخر، فالطفل يربط بين سلوكه وردود أفعال والديه، فإذا كانت ردود الأفعال غير متسقة أو متساوية، فإن ذلك يجعل الطفل عاجزًا عن التمييز بين السلوك الصحيح والسلوك الخاطئ مما يزعزع شعوره بالأمن النفسى (إيمان عبد الوهاب، ١٩٩٩).

وأحيانًا ما نجد بعض الآباء يعاقبون الطفل على سلوك ما فى موقف ما ولا يعاقبونه إذا ما قام بالسلوك نفسه فى مواقف مشابهة، فيلتبس الأمر على الطفل فلا يعرف هل هذا السلوك صحيح أم خاطئ، كما نجد أحيانًا أن الوالدين غير متفقين على تقييمهم لسلوك الطفل، فقد يعاقب أحد الوالدين الطفل على سلوك ما بينما يرى الطرف الآخر أنه لا يستحق العقاب وقد يسامحه أو يسترضيه، أو قد يقبل الأب أمرًا ترفضه الأم أو العكس، فيتشتت الابن بين آراء الوالدين، وقد يكون أحد الوالدين متشددًا مع الطفل والآخر متسامحًا جدًا، فيؤدى هذا الاختلاف بين الأب والأم فى معاملة الطفل إلى تشتته وحيرته وتضارب القيم لديه، وقد يرجع اختلاف أسلوب معاملة الطفل بين الوالدين إلى أسباب كثيرة منها اختلاف شخصية الأب والأم، ووجود خلافات بينهما، فيحاول كل منهما الكيد للآخر بمخالفة آرائه، غير مدركين أن أول من يقع عليه تبعة ذلك هم الأولاد.

ويلاحظ أن عدم الاتساق بين الوالدين، والتضارب فى النظم المتبعة، والتذبذب بين الشدة واللين والحرص والتسيب والحرية والتقييد، من شأنه أن يجعل الطفل فى صراع بين شيئين، الإحجام والإقدام، ويصبح غير قادر على اتخاذ القرار بنفسه مما يؤدى إلى الشعور بنقص الأمن، كما يؤدى ذلك إلى اضطراب نسق قيم الطفل أو تضاربها، وميله نحو عدم الثبات، والتردد فى اتخاذ القرارات، ويجد الطفل صعوبة فى معرفة الإيجابيات والسلبيات.

٦ – القسوة Cruelty :

يقصد بالقسوة قيام أحد الوالدين أو كليهما أو القائمين على رعاية الطفل بتهديده أو إلحاق الأذى الجسمى أو النفسى به، بحيث تظهر علامات الإساءة

الجسمية، مثل سوء التغذية، وسوء الصحة العامة، والكدمات والجروح والكسور... إلخ، أو تبدو على الطفل آثار الأذى النفسى فى شكل اضطرابات سلوكية أو انفعالية شديدة، كما تبدو أيضًا فى تعامله مع البيئة الاجتماعية والمادية، حيث يتعامل معها من منظور القلق ونقص الثقة والخوف والاكتئاب والتوتر... إلخ (إيمان إسماعيل، ٢٠٠٠م).

ويعتقد بعض الآباء أن أفضل أسلوب لتربية الأولاد هو القسوة والشدة فيستخدمون العقاب المادى (كالضرب أو الحرق أو الصعق بالكهرباء) كوسيلة لتأديب الطفل، أو يستخدمون العقاب المعنوى (بالحرمان والتأنيب والتحقير وتقليل الشأن)، وتراثنا الشعبى ملىء بالأمثال التى تؤيد هذا الأسلوب الخاطئ فى التنشئة منها: " اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشرون ".

وقد يؤدى زيادة استخدام العقاب الجسمى إلى الجُناح (الانحراف)، ومعروف أن اللجوء إلى العقاب يؤدى إلى الخوف، والخوف يؤدى إلى رد فعل دفاعى ثم يأتى العقاب، وهكذا تتكون حلقة مفرغة (عقاب – خوف – رد فعل دفاعى – عقاب).

وفى الوقت نفسه نجد أن انفعال الخوف يؤثر فى وظائف الأعضاء التى يتحكم فيها الجهاز العصبى الذاتى، ويؤدى إلى الأمراض الجسمية النفسية، ويؤثر تأثيرًا سيئًا فى التفكير فيعوقه وفى الحركة فيجعلها مضطربة... وهكذا، كما يولد لدى الفرد شعورًا بالنقص وكرهًا للسلطة والعدائية مع الآخرين، ويجعله يميل إلى الانسحاب من المواقف الاجتماعية (حامد زهران، ١٩٩٠م).

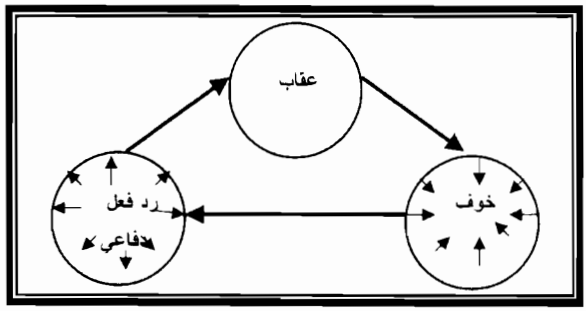

شكل (٧) الحلقة المفرغة

(عقاب – خوف – رد فعل دفاعى)

ويجدر بنا الإشارة إلى أن رسولنا الكريمﷺ قد نهانا عن استخدام القسوة مع الأبناء حيث يقول " إن أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق ". ويقول " الله رفيق يحب الرفق "؛ فما دام التوصل إلى الإصلاح والتقويم بغير الضرب ممكن، فلا يصار إلى الضرب اقتداءً برسول الله ﷺ حيث أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثم.

٧ – الإهمال ـ Negligence :

يقصد بالإهمال نقص الاهتمام بالطفل، وحرمانه من الرعاية والحب والتشجيع، وعدم محاسبته أو تقييم سلوكياته التى يقوم بها، فلا يثاب على السلوك الصحيح، ولا يعاقب على السلوك الخاطئ، ولا يلقى التوجيه اللازم أو الصحبة التى تشبع حاجته للشعور بالأمن، ولا يلقى المساعدة من والديه فى المواقف التى يصعب عليه اجتيازها بمفرده.

وقد ينشأ بعض الأبناء وكأنهم يتامى على الرغم من وجود آبائهم على قيد الحياة، ويقول أحمد شوقى:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... هم الحياة، وخلفاه ذليلًا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما ... وبحسن تربية الزمان بديلًا
إن اليتيم هو الذى تلقى له ... أماً تخلت، أو أباً مشغولًا

ويؤدى إهمال الطفل إلى نقص الشعور بالأمن، والشعور بالوحدة، ومحاولة جذب انتباه الآخرين، والشعور العدائى تجاه الوالدين والأخوة والآخرين، ونقص القدرة على تبادل العواطف، والتبلد ونقص الانتماء، بالإضافة إلى تكوين فكرة سيئة عن الحياة الأسرية.

٧ – الحرمان:

وهو يقوم على كف الطفل عن الحصول على احتياجاته مما يجعله يشعر بالعجز، ومن مظاهره الحرمان من عطف الأم والأب، أو كلاهما، وقد يؤدى ذلك إلى المرض النفسى وسوء التوافق، وعدم إشباع الحاجات.

ومما سبق يتضح أن هناك علاقة ارتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية وبين النمو النفسى للطفل، فأساليب المعاملة الوالدية السوية تؤدى إلى النمو السوى وإلى التوافق النفسى وإلى الصحة النفسية، بينما تؤدى أساليب المعاملة الوالدية غير السوية إلى العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية والاضطرابات السلوكيـة.

والذى يقرأ قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام يلتمس تنبيهًا إلى صورة حية وواقعية، كان فيها الحوار ولغة الإقناع بين الآباء والأبناء، وليس التسلط والتصلب، وكان فيها أيضًا تقدير رأى الولد بما يبعث الثقة بالنفس وتقدير الذات. يقول الله ﷻ فى سورة يوسف: ﴿ **إذْ قالَ يوسُفُ لأبيه يا أبَت إنّى رَأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشمْسَ وَالْقَمَرَ رَأيتُهُمْ لى ساجدينَ ۞ قالَ يا بُنَىّ لا تَقْصُصْ رُؤياكَ عَلى إخْوَتكَ فَيَكيدوا لَكَ كَيدًا إنّ الشيْطانَ للإنسانِ عَدُو مُبينٌ** ﴾ (سورة يوسف: ٤، ٥) . ويقول الله ﷻ فى شأن إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿ **فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السعْىَ قالَ يا بُنَىّ إنّى أرَى فى الْمَنامِ أنّى أذْبَحُكَ فانظُرْ مَاذا تَرَى قالَ يا أبَتِ افعَلْ ما تُؤمَرُ سَتَجِدُنى إن شاءَ اللهُ مِنَ الصابِرينَ** ﴾.

ولقد أرشدنا رسولنا الكريم ﷺ إلى أفضل أساليب التربية والمعاملة الوالدية فى حديث يعد من أعظم نظريات التربية عبر العصور، فيقول فى حديثه الشريـف: " لاعبه سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا.